« التحدي الأمريكي » .. وما العمل ؟

بقلم ابراهيم عامر

عندما (*) انتهيت من قراءة كتاب « التحدي الاميركي » للصحفي والسياسي الفرنسي جان ـ جاك سيرفان شرايبر ، وجدتني أشعر على الفور بضرورة التنبيه الى أهميته ، وبضرورة الدعوة الى ترجمته الى اللغة العربية بأسرع ما يمكن ، وبضرورة أن يقرأه اكبر عدد من العلماء والمهندسين ومديري المؤسسات ورجال الاقتصاد والمخططين ، والشباب الذين يحملون مسؤولية السنوات القادمة ، والمشتغلين بالسياسة .. وكل من يريد أن يلقي نظرة بعيدة المدى على المستقبل ويهمه البحث عن « صيغة عمل » لمواجهة التحدي الاميركي الخطير .

ووجدت في ذهني سؤالا ملحا هو :

اذا كانت أوروبا الغربية تشعر الى هذا الحد بخطر التحدي الاميركي ، وتخشى أن تتحول الى مجرد سوق للاستثمارات الاميركية ومصدر للمواد الخام والعمالة العالية الكفاءة ، فكيف تكون حال البلاد التي لا تزال في بداية طريق التنمية مثل بلادنا العربية ؟ واذا كان المفكرون الاوروبيون ـ ومنهم مفكرون ذوو ميول اميركية مثل شرايبر ـ يدعون ويلحون في الدعوة الى ضرورة العمل على أن تتجاوز بلاد أوروبا الغربية تخلفها العلمي والتكنيكي الراهن بالنسبة للولايات المتحدة في خلال السنوات الخمس عشرة القادمة على الاكثر ، أفلا يحق للمفكرين والمنفذين العرب أن يكون قلقهم أشد ، وخشيتهم أكبر ، وزعمهم وجهدهم في سبيل مواجهة التحدي الاميركي أكثر وأعم ؟

ونحن العرب لا نواجه التحدي الاميركي بتلك الصورة المباشرة التي تواجهها أوروبا الغربية فحسب ـ صورة الاستثمارات الاحتكارية والقواعد العلمية والتكنيكية ومترتباتها السياسية والعسكرية والفكرية ـ وانما نحن نواجه أيضا التحدي الاميركي في صورة غير مباشرة تتمثل في ذلك المجتمع الصهيوني القائم في اسرائيل والذي يجري بناؤه وتطويره بالقوة الاقتصادية والعسكرية الاميركية .

واذا كان الاوروبيون مهتمين في الوقت الراهن بقضية التحدي الاميركي ودراستها الدراسة العلمية الموضوعية القائمة على المعلومات والوقائع ، وهو أمر يهمنا ، فان علينا بالاضافة الى ذلك أن نهتم بقضية التحدي الاسرائيلي ودراستها الدراسة العلمية الموضوعية القائمة على المعلومات والوقائع . ولقد قال البعض في الايام التي تلت الهزيمة ان من أسباب هذه الهزيمة التخلف العربي العلمي والتكنيكي والتنظيمي للقدرات القومية ، لكننا لم نبذل حتى الان محاولة جادة لدراسة مظاهر هذا التخلف وأسبابه .

وضرورة العمل على مواجهة التحدي الاميركي ، المباشر وغير المباشر في عالمنا العربي ، هي ضرورة حضارية تاريخية ، حتى لا ينتهي الامر بنا الى فقدان شخصيتنا القومية ومقومات حياتنا ، وحتى لا نضيع مستقبلنا في عالم لا وجود فيه لمن لا مستقبل لهم .

ونحن لا نستطيع أن نواجه التحدي ـ أي تحد ـ الا باحدى وسيلتين :

أن ننكمش على أنفسنا ، ونتقوقع في داخلنا ، ونرفض كل جديد ، ونلعن كل شيء ، ونكتفي بمضغ أمجاد الماضي والرضا عن الذات والثناء على أنفسنا بالحق والباطل ، والاكتفاء بعبير زهورنا الذابلة ، وهذا أمر غير ممكن في عالمنا الراهن الذي أصبح الاتصال فيه نشيطا وقويا ، وقانون التأثير المتبادل عاملا بأقصى فاعلية عرفها التاريخ حتى الان .. ورياح التحدي لا تقف خجولة مترددة تنتظر من الابواب أن تنفتح لها ، وانما هي تقتحم هذه الابواب بألف طريقة وطريقة .

أو أن ننفتح بكل طاقاتنا على الحضارة المعاصرة ، ونستثمر أثمن ما نملكه ، أقصى استثمار . وأثمن ما نملكه هو الانسان العربي الذي يكون استثماره بالتعليم ورفع كفاءته الانتاجية وتنمية روح التفكير العقلي وموهبة الابداع ، واحلال علاقات العمل بين الناس محل العلاقات الشخصية والذاتية .

ان الثروات العربية التي ينبغي البحث عنها لا توجد فقط في مساحة الارض وامتدادها من الخليج الى المحيط ، ولا في عدد السكان وبلوغه المائة مليون أو أكثر ، ولا في الآلات والمباني فحسب ، وانما هي توجد في استعداد الناس للتفكير والابداع والعمل الرشيد ، وفي كفالة الضمانات اللازمة لذلك ، سياسيا واجتماعيا .

وواجب مواجهة التحدي الاميركي ، في صورتيه المباشرة وغير المباشرة ، ليس قاصرا على المعادين للولايات المتحدة وسياستها الاستعمارية التوسعية ،

(*) مقدمة كتاب « التحدي الاميركي » لشرايبر الذي تصدر ترجمته العربية هذا الشهر عن « دار الاداب » .

وانما هو واجب يلتزم به حتى الموالون للولايات المتحدة اذا ما ظلوا مخلصين في الوقت ذاته لمجتمعاتهم القومية . ذلك لان جان ـ جاك سيرفان شرايبر نفسه هو كاتب فرنسي ذو ميول اميركية ، لكن ميوله هذه لا تثنيه عن ضرورة البحث عن صيغة عمل للدفاع عن مصالح وطنه الفرنسي بل ووطنه الاوروبي الغربي . وهو يرى ان خير وسيلة لتحقيق ذلك هو أن تشن أوروبا الغربية هجوما علميا ـ تكنيكيا مضادا تسابق به الهجوم العلمي التكنولوجي الاميركي لتسبقه . ومهما كانت وجهات النظر في الاستخلاصات العامة التي ينتهي اليها في كتابه، غايته وهدفه هو محاولة انقاذ أوروبا الغربية من براثن السيطرة الاميركية ، لا في المرحلة الحاضرة فحسب ، بل وفي المستقبل القريب أيضا .

ومما نستطيع أن نستخلصه من هذا الكتاب الهام أيضا الحتمية العلمية للاشتراكية حتى في الولايات المتحدة نفسها . فنحن نلاحظ ان الولايات المتحدة ستستطيع في عام ألفين ـ أي بعد نحو ثلاثين سنة ـ أن تنتقل الى مرحلة المجتمع « فوق الصناعي » الذي يصبح فيه النشاط الاقتصادي الاساسي في مجال الخدمات الثالث والرابع ، أي مجال تزويد المواطنين بحاجاتهم التعليمية والصحية والترفيهية بالمجان ، والذي يصبح فيه الفرق بين أعلى دخل للمواطن وأدنى دخل أقل مما هو عليه في الدول التي أخذت الان بالاشتراكية . ومعنى هذا ان الرأسمالية الاميركية محكوم عليها بأن تنقض نفسها بنفسها ، وأن تتحول الى الاشتراكية .

ومع هذا ، وعلى الرغم من جدية المعلومات الواردة في هذا الكتاب ، وأهمية الاستخلاصات الجزئية فيه ، فان الاستخلاص العام الاسلم الذي يخرج به القارىء هو ان الوسيلة الفضلى لمواجهة التحدي الاميركي في أوروبا هي تلك الوسيلة التي يلخصها شعار « الوحدة الاوروبية من الاورال الى الاطلنطي » . وهي الوحدة التي تكفل تجميع موارد أوروبا كلها ، بما فيها موارد الاتحاد السوفياتي ، في اطار نظام اشتراكي أوروبي جديد. وهذا النظام الاشتراكي الجديد تبدو بوادره في الواقع اليوم في تلك الاتجاهات المعقودة نحو تعديل النظم الاشتراكية التقليدية لتكون أكثر لامركزية وتحررا وكفالة للمبادرات والمسؤوليات الفردية ، وفي الاتجاهات نحو تعديل النظم الرأسمالية التقليدية لتكون أكثر تخطيطا واجتماعية وكفالة لاعتبارات المصلحة الجماعية والمسؤوليات العامة.

ومن ناحية أخرى ، فانه اذا استطاعت مثل هذه الاوروبا الكبرى أن تعيد صياغة علاقاتها المتبادلة مع دول « العالم الثالث » على أسس غير استعمارية ، عادلة وحرة ، فان فرصة مواجهة التحدي الاميركي ستكون أكبر وأكثر فعالية ، لا بالنسبة لدول أوروبا « من الاورال الى الاطلنطي » فحسب ، وانما بالنسبة لدول العالم الثالث « في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية » أيضا .

ابراهيم عامر

دار الاداب تقدم

صدر حديثا

الإرهابيون والفدائيون

تاليف رولان غوشيه

ترجمة ريمون نشاطي

في شهر اذار (مارس) عام ١٨٨١ هاجم بعض الشبان الذين يحملون قنابل يدوية القيصر الكسندر الثاني ، فقتل القيصر ، ولكن الطغيان ظل حيا .

ومع ذلك ، فان الارهاب دخل حلبة التاريخ على اثر هذا الحادث . فما لبثت فئات كثيرة ان تبنت هذا الاسلوب : الاشتراكيون ـ الثوريون ، الفوضويون ، البولشفيك ، الجيش الجمهوري الايرلندي ، الارهابيون الالمان والحرس الحديدي ، عصابتا الارغون وشتيرن في فلسطين ، منظمة الجيش السري الفرنسي الخ... كما ان جبهة التحرير الجزائرية قامت باعمال فدائية باهرة ضد الجيش الفرنسي المحتل، وكان احد ابرز قادتها ياسف سعدي . ويقوم الآن الفدائيون العرب الابطال في فلسطين باروع المآثر .

ولا تزال اعمال الارهاب والفدائية منتشرة في كثير من اقطار العالم ، والواقع ان هذا الشكل من المقاومة يحل تدريجيا محل الحرب التي يصعب فيها تجنيد كتل بشرية كبيرة وتوشك ان تؤدي الى نزاع عالمي ذي نتائج خطيرة .

وهذا الكتاب الذي وضعه الكاتب الفرنسي رولان غوشيه يروي باسلوب جذاب تاريخ الحركات الارهابية والفدائية في العالم منذ روسيا القيصرية حتى ايامنا . الثمن ٤٥٠ ق. ل.